جســـــر الرج

تحقيقات ودراسات

٥ ســــنوات مع ثـورة التصحيح

١٥ مايـو وحـرب أكتـوبر

من ثمرات التصحيح أن توفرت لاول مرة ظروف المعركة المتكافئة أمـــام المقاتل العربي فى صراعه المستـــمر مـــع الصهيونية الامبريالية وركيزتها اسرائيل .

فقبل حرب رمضـــان تـــكرر الزج بهذا المقاتل فى مواقف ميئوس منها استراتيجيا وتكتيكيا ، وفي ظـــروف سياسية تكاد تفرض عليه الفشل قبل ان يحمى وطيس القتال .

وهـــذه الــــدروس المستفادة من الجولات السابقة على حرب رمضـــان تجمع بأن جيوش العرب قد استدرجت اكثر من مرة الى عمليات حاسمة ،كانت جميعا من اختيار العدو ظرفا وزمانا ومكانا ، بما احالها فى واقع الامر الى مغامرات اسرائيلية محسوبة حتى ادق تفاصيلها ، مضمونة النتائج سلفا ، على حين كانت على الجانب المضاد مجرد مغامرات مشحونة بالاخطار ، وخيمة العواقب على كل حـــال .

هكذا استكان المقاتل الاسرائيلي الى هذه الميزة الفريدة ، فاستمرأ خوض غمار الحروب غير المتكافئة مع خصمه العربى ، حتى وقعت بينهما المواجهة الحاسمة عصر السادس من أكتوبر ١٦٧٣ فكانت المفاجأة التى صـــدمته وأذهلته عندما وجد نفسه هذه المرة وقد غرق فى موقف ميئوس منه حتى قمة رأسه ، والقى به الظرف البالغ الحرج من كل جانب .

ولـــم يأت هـــذا التغيير الجـــذرى اعتباطا ، بل جاء نتيجة جهود مضنية ودراسات [illegible] ، وثمرة انجازات عديدة حققت القيادة السياسيـــة العسكرية خلال مرحلة التحضير لحرب رمضان ، التى امتدت أيامها منذ ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ حـــتى مطلع أكتوبر ١٩٧٣ .

لقد اشتملت هذه الجهـــود وتلك الانجازات على تدابير متشـــعبة فى مختلف المجالات الدولية والمحليـــة والداخلية خلال فترة صنع القـــرار وانضاج خطط القتال الذى لم يترك صلف العدو وتشدده بديلا آخـــر أمام العرب .

وبمثل ما تعين على القيادة العسكرية أن تبدأ التحضير لحرب رمضان بحملة معنوية تستعيد بها الثقة التى هزتها نتائج الجولات السابقة ، عن طـــريق اثبات الذات فى التخطيط الماهر والتنفيذ الواقعي والتـــدريب الجـــاد والاعداد الشامل ، اقتناعا بأن قطرات من العرق تغنى عن انهار من الدم ، كان على القيادة السياسية بالمثل ، وفى نفس الوقت ، ان تبذل الجهـــد الكثيف لكسب الرأى العام العـــالمى واقناعه بعدالة القضية وشرعية الحرب التى انتوت خوضها لتستخلص الحق وتحرر الارض ممن أصر على انتهاج شريعة الغاب فى معاملاته مع (الاخرين) ، واعتنق شعار القوة فوق الحق ، لا يحيد عنه مهما صادف من ترشيد .

وتركزت جهود القيادة السياسية فى تهيئـــة المنـــاخ الدولى المتعاطف نتيجة الفهم الصحيح لجوهر المشكلة وعواقبها القريبة والبعيدة .

ثم كان على هذه القيادة ايضا ان تعالج أزمة الثقة ومعضلة تطـــاحن الاراء وتضاربها بعد أن تفاقم أمرها بين العرب ، وتراكمت شظاياها مع كر السنين فوق نسيج التضـــامن العربى الرهيف ، حتى كانت تمـــزق خيوطه الرقيقة .

وكان كل جهد امام الحاح وضرورة التصـــحيح الذى قال عنـــه الرئيس السادات .. لو لم نصحح اهانة يونيو ١٩٦٧ لتقضي على العرب كمـــا تقضى على الهنود الحمر .

وحتى تحشد للحرب كفايتها من الجهود والامكانات العربية المـــادية والمعنوية والذهنية لم تجد القيـــادة السياسية بدا من [illegible] حيال عهودها ووعودها .

فلما رسمت الفكـــرة الاستراتيجية العامة للعمل العسكرى اعتنت بوجه خاص بكل ما يحقق استثمار نشاط القوة العربية واستغلال نقاط الضعف الاسرائيلية حتى آخر المدى .

وبعد أن اطمأنت الى سلامة التخطيط اكتفت بالاشراف والمتـــابعة عن كثب لتنجز المهـــمة الموكلة اليها ، بينما ، اطلقت يـــد القيادة العسكريـــة حتى تفسح أمامها مجال الابداع .

وفى المجال العسكرى كانت حرب رمضان الملحمة التى صنعت أسلوب اسهام الافرع الرئيسيـــة والاســـلحة المختلفة فى ابعاد الحرب الخمســـة ـــ البرية والبحـــرية والجوية والدفـــاع الجوى والالكترونية ـــ فشاركت جميعا بالنصيب الاوفى بكل أدوات القتـــال فى معركة الاسلحة المشتركة الحديثة ، فحسمت الامور فى بحر ساعتين من عصر ٦ أكتوبر عندما اسقطت يـــد اسرائيل "العليا" ـــ قواتها الجوية ـــ وبترت ذراعها الطويلة ـــ قواتها المدرعة اللتين كانتا قد حسمتا الجولة الثالثة فى بحر ساعتين من صباح ٥ يونيو ، فغيرت بذلك ادوار الاطراف المتصارعة ، وبدلت موضع النصر ، وكشفت عن موقـــع الخطأ فى الصراع العـــربى الاسرائيلى قبل ان تغرب شمس اليوم الثالث للقتال الذى دخل سجل التاريخ العسكرى الاسرائيلى تحت اســـم «الاثنين الاسود ، ٨ أكتوبر ١٩٧٣» واظهرت فساد ادعاء اسرائيل بـــأن الزمن قد تجمد بالنسبة للعرب ، وان التطور قد تجاوزهم . ووقعت حركة التصحيح لتشكل نقطة العودة الى المسار السليم للصراع الذى طـــال امده ، واثبت الزمن انه فى جـــانب العرب ، وان المستقبل لهم .

لقد كانت الافرع الرئيسية لقواتنا المسلحة تعمل خلال مرحلتى التخطيط والديناميكا لحرب رمضان فى اندماج تام وتنسيق كامل ، ولاول مرة تزول الحواجز بين الاسلحة والخدمات ، ويتفانى الجميع فى العمل فريقا واحدا يندفع كالبنيان المرصوص نحو هدف واحد بعد ان كانت هذه الحواجز سبق أحد الاسباب المموتة .

ولما انطلقت اسراب الطائرات لتدك أهدافها وتنتزع التفوق الجـــوى فى سماء المعـــركة ، انطلقت فى نفس الوقت صواريخ الدفاع الجوى ومدافعه تدمر طائرات اسرائيل وتجبرها على الابتعاد عن شريحة القتال .

ثم انطلقت قذائف المدفعية بـــكل اعيرتها الثقيلة والخفيفة ، ومراميها الطويلة والقصيرة تدك حصون بارليف وتسحق نقطها القوية فى المنطقـــة الامامية وفى العمق .

اعـــداد :

الوحدة العسكرية
مركز الدراســـات
السياسية والاستراتيجية

وبينما انطلقت عناصر الاسطول تفرض السيطرة على المضايق والمياه الاقليمية وتنجز المهام القتالية الحاسمة ، راحت القوات البرية تقتحم الموانع والحصون الاسطورية فى امواج تلو امواج ، وعناصر المهندسين تهيىء لها وسائل العبور فوق صفحة القناة بالمعديات والزوارق والكبارى ، لتندفع عليهـــا القوات المدرعة والميكانيكية والارتال اللاحقة ، بينما القـــوات الخاصـــة تنقض على اهدافها فى طول سيناء وعرضها بالاقتحام الجـــوى الرأسى وبالمظلات ، ليتم كل ذلك فى سيمفونية رائعة تنجح فى تدعيم رأس الجسر الهائل شرق القناة وعلى طـــول امتدادها ، ثم تؤمنه فى زمن قياسى ليتحطم عليه هجوم اسرائيل المضـــاد الذى وعد به ديان مائير أن يلقى بمن عبر القناة فى قاعها حيث يســحق عظامه ، فلم ينته اليوم حتى سحق المصريون هجومه المضاد وحطمـــوا معنوياته ، فراح يعترف لمائير ... « جولدا ، لقد اخطأت فى كل شيء ، وما كاد يغادر مكتبها حتى دخل عليها بارليف ليجدها تبكى ثاكلة .. سوف يبقى هذا اليوم اسوأ أيام حياتى » .

وشاء القدر العادل أن يكون اشد ما وقع عليه الجزاء من قوات اسرائيل فى هذا اليوم الحاسم اللواء السابع المدرع واللواء الاورشليمى وقد كانا من اعتى التشكيلات ضجيجا فى الجولة الثالثة .

وخلال ما بقى من مراحل الهجوم حتى تأمين راس الجسر شرق القنـــاة كانت العناصر الادارية والفنية تحقق الاعجاز بعينه . فمد المقاتلين باحجام هائلة من ذخائر القتال ووقوده ، وسائر مواد الاعاشة والعلاج والاخلاء . من اقصى الخطوط الامامية حتى ادنى المؤخرات . وراحت اطقم النجـــدة والاصلاح تعيد ما تعطل من المعـــدات والاسلحة الى حالتها الاولى . وتزج بها مرة أخرى فى المعركه لتسهم فى شرف النصر .

وكان ابلغ وصف لهذه الفترة من سجل العرب قول الرئيس القائد محمد أنور السادات ، وخرج الابطال مـــن هذا الشـــعب وهـــذه الامة فى فترة حالكة يحملون مشاعل النـــور لتضيء الطريق حتى تستطيع امتهم أن تعبر الجسر بين اليأس والرجاء .

□ الرئيس أنور السادات □